الدرس الأول

التوحيد وأنواعه

التوحيد هو: إفراد الله ـ عز وجل ـ بما يختص به ، ويجب له من أنواع العبادة ، وهو أعظم ما أمر الله به ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقال سبحانه: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] .

والتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أولا : توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالخلق والتدبير لهذا العالم ، وأنه الرازق المحيي المميت ، الذي له ملك السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣].

وقال سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] ، وملكُ الله ـ تعالى ـ ملكٌ شاملٌ لكل ما في الكون يتصرف به كما يشاء.

وأما إفراد الله بالتدبير ، فإن الله ـ عز وجل ـ منفرد بتدبير الخلق ، قال سبحانه: ﴿ أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف :٥٤] ، وهو تدبير شامل لجميع المخلوقات.

ولم ينكر هذا النوعَ من التوحيد إلا شواذٌّ من البشر ، أنكروه في الظاهر ، مع الاعتراف به في قرارة أنفسهم ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل : ١٤] ، والإقرار به وحده لا ينفع صاحبه ؛ حيث لم ينفع المشركين إقرارهم به ، وقد قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون ﴾ [العنكبوت:٦١].

الدرس الثاني

الثاني من أنواع التوحيد: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله – سبحانه وتعالى – بجميع أنواع العبادة ، بألَّا يَتَخِذَ الإنسانُ مع الله أحدًا يعبده ويتقرب إليه ، وهذا النوع هو أهمُّ أنواع التوحيد وأجلُّها ، وهو الذي خلق الله الخلق من أجله ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وهو الذي أرسل الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء:٢٥].

وهذا النوع هو الذي أنكره المشركون حين دعتهم الرسل إليه ، قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [الأعراف:٧٠] ، فلا يصحُ صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ، لا لـمَلَكٍ مقرب ، ولا لنبي مرسل ، ولا لولي صالح ، ولا لأحد من المخلوقين ؛ لأن العبادة لا تصح إلا لله عز وجل.

الدرس الثالث

الثالث من أنواع التوحيد: توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بما سمى الله به نفسه ، أو وصفها به ، أو سماه أو وصفه به رسوله ﷺ ، وإثبات ذلك على وجه يليق بجلاله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل[١] ، على وجه الحقيقة لا المجاز ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، وما لم يرد إثباته ولا نفيه وجب التوقف في لفظه ، فلا يُثبت ، ولا يُنفى[٢].

ومن الأمثلة للأسماء الحسنى: أن الله ـ سبحانه ـ سمى نفسه بالحي القيوم ، فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله ، ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف ، وهي الحياة الكاملة التي لم تُسبق بعَدَم ولا يَلحقها فناء.

وسمى الله نفسه بالسميع ؛ فعلينا أن نؤمن بالسميع اسمًا من أسماءِ الله تعالى ، وبالسمع صفةً من صفاته ، وبأنه يَسمع.

ومن الأمثلة للصفات: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة:٦٤] ، فأثبت الله لنفسه يَدَيْنِ موصوفتين بالبسط ، وهو العطاء الواسع ؛ فيجب علينا أن نؤمن بأن لله ـ تعالى ـ يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم ، ولكن يجب علينا ألَّا نحاول بقلوبنا تصورًا ، ولا بألسنتنا نطقًا لنصل إلى كيفية تلك اليدين ، ولا أن نمثلهما بأيدي المخلوقين ؛ لأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

وخُلاصة الكلام في هذا النوع من التوحيد ، هو: أنه يجب علينا أن نُثبت لله ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، من الأسماء والصفات، من غير تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل ، وما لم يرد فيه إثبات ولا نفي ، فيتوقفون في لفظه ، و يستفصلون عن معناه ، فإن كان معناه يدل على أمر يليق بالله قبلوه ، وإن كان يدل على ما يُنزَّه الله عنه ردوه.

١- التحريف هو : صرف الصفات عن ظاهرها بلا دليل. والتعطيل هو: إنكار ما يجب لله ـ تعالى ـ من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها. والتكييف هو : حكاية كيفية صفات الله بالقلب ، أو باللسان كأن يقول يد الله ككذا وكذا . والتمثيل هو: تمثيلها وتشبيهها بصفات المخلوقين ، أو اعتقاد أنها تشبه صفات المخلوقين.

٢- أما معناه ، فيستفصلون عنه ، فإن أريد به معنى باطل يُنزَّه الله عنه ردُّوه ، وإن أريد به معنى حق لا يمتنع على الله قبلوه.

الدرس الرابع

معنى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله :

لا إله إلا الله ، هي أساس الدين ، ولها المكانة العظمى في دين الإسلام ؛ فهي أول ركن من أركان الإسلام ، وأعلى شُعبةٍ من شُعب الإيمان ، وقبولُ الأعمال متوقفٌ على النُطق بها ، ومعرفة معناها ، والعمل بمقتضاها.

أما معناها الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ، فهو: **لا معبود حق إلا الله** ، ومِنَ الخطأ حصر معناها بأنه: لا خالقَ إلا اللهُ ، أو لا قادر على الاختراع إلا اللهُ ، أو لا موجود إلا اللهُ ؛ لأن في هذا حصرًا لمدلولها إلى توحيد الربوبية فقط ، وإغفالاً لتوحيد الألوهية الذي هو أساس مدلول هذه الكلمة.

ولهذه الكلمة رُكنان:

١- **نفي** ، وذلك في قولنا: **لا إله** ، حيث نُفيَت الألوهية عن كل شيء.

٢- **إثبات** ، وذلك في قولنا : **إلا الله** ، حيث أُثبِتَت الألوهية لله وحده لا شريك له.

فلا يُعبد إلا اللهُ ، ولا يجوز أن يُصرف شيءٌ من أنواع العبادة لغير الله ، فمن قال هذه الكلمة ، عارفًا لمعناها ، عاملًا بمقتضاها : من نفي الشرك ، وإثبات الوحدانية ، مع الاعتقاد الجازم بما تضمنته ، والعمل به ، من قال هذا ؛ فهو المسلم حقًا ، ومن عمل بها من غير اعتقاد ؛ فهو منافق ، ومن عمل بخلافها من الشرك ؛ فهو مشركٌ كافرٌ ، وإن قالها بلسانه.

فضل كلمة التوحيد: لا إله إلا الله :

لهذه الكلمة فضائلُ وثمرات كثيرة ، منها:

١- **أنها سبب مانعٌ من الخلود في النار لمن استحق دخولها من أهل التوحيد** ، ففي الحديث أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: ((**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزنُ شعيرةٍ من خيرٍ ، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن ذَرة من خير**)) [متفق عليه: ٤٤ ، ١٩٣].

٢- **لأجلها خُلقت الجنُ والإنسُ** ، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، ومعنى يعبدون : يُوَحِدون.

٣- **وهي التي لأجلها أُرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب**: قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء:٢٥].

٤- **وهي مفتاح دعوة الرسل** ، فهي أول دعوة الرسل - عليهم السلام - فكُلُّ رسول يقول لقومه: ﴿ ... **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [الأعراف:٥٩].

الدرس الخامس

شروط كلمة التوحيد: لا إله إلا الله:

لا إله إلا الله ، لها شروط سبعة ، لا تصح إلا إذا اجتمعت ، والتَزمها العبدُ دون مُناقضة لشيء منها ، وهي:

١- **العلم:** وهو العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا ، وما تستلزمه من عمل. فإذا علم العبد أنَّ الله ـ عز وجل ـ هو المعبودُ وحدهُ ، وأنَّ عبادةَ غيره باطلة ؛ فهو عالمٌ بمعناها حقًا ، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴾ [محمد: ١٩] وعن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ـﷺـ قال: ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)) [مسلم: ٢٦].

٢- **اليقين:** وهو أن ينطقَ بالشهادةِ عن يقينٍ يطمئنُ قَلبهُ إليه ، دون تسربِ الشكوكِ التي يلقيها شياطينُ الجن والإنس ، بل يقولها موقنًا بمدلولها يقينًا جازمًا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات: ١٥].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـﷺـ قال : ((أشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما ، إلا دخل الجنة)) [مسلم: ٢٧].

٣- **القبول:** وهو أنْ يَقبلَ بقلبه ولسانه كل ما اقتضته هذه الكلمة ، فيصدقُ بالأخبار ، ويؤمن بكل ما جاء عن الرسول ﷺ ، ويقبل ذلك كله ولا يرد منه شيئًا ، قال الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، ويدخل في الرد وعدم القبول من يعترض على بعض الأحكام الشرعية ، أو الحدود ، أو يردها ، كالذين يعترضون على حد السرقة ، أو الزنا ، أو على تعدد الزوجات ، أو المواريث، وما إلى ذلك. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

الدرس السادس

تابع شروط: لا إله إلا الله

٤- **الانقياد:** وهو الاستسلام ، وذلك بأن ينقاد لما دلت عليه لا إله إلا الله . والفرقُ بين الانقياد والقبول ، أن القبول إظهار صحةِ معنى ذلك بالقول، أما الانقياد فهو الاتباع بالأفعال . وإذا عَلِمَ أحدٌ معنى: لا إله إلا الله ، وأيقن بها وقَبِلها ولكنه لم يَنقد ، ويُذْعِن ، ويستسلم ، ويعمل بمقتضى ما عَلِمَ فإنه حينها لم يحقق شرط الانقياد ، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾ [الزمر:٥٤] ، وقال تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء:٦٥].

٥- **الصدق:** وذلك بأن يكون صادقًا في إيمانه ، صادقًا في عقيدته ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة:١١٩] ، وقال ﷺ: ((**من شهد أن لا إله إلا الله صادقًا بها دخل الجنة**)) [رواه أحمد ، وصححه الألباني] ، فإن قال الشهادة بلسانه ، وكذَّب مدلولها بقلبه ، فإن ذلك لا ينجيه ، بل يَدخل في عِدَادِ المنافقين.

ومما ينافي الصدق ، تكذيب ما جاء به الرسول ﷺ ، أو تكذيب بعض ما جاء به ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمرنا بطاعته ـ ﷺ ـ وتصديقه ، وقرن ذلك بطاعته سبحانه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [النور:٥٤].

الدرس السابع

تابع شروط: لا إله إلا الله

٦- **الإخلاص:** وهو تصفية الإنسان عمله بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصةً لوجه الله وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبةُ رياء، أو سمعة، أو قصدُ نفعٍ، أو غرضٍ شخصيٍّ، أو شهوةٌ ظاهرةٌ أو خفيةٌ، أو يكون مدفوعًا للعمل لمحبة شخصٍ، أو مذهبٍ، أو حزبٍ يستسلم له بغير هدى من الله، بل لا بد أن يكون مبتغيًا بدعوته وجه الله والدار الآخرة، لا يلتفت بقلبه إلى أحدٍ من الخلق يريد منه جزاءً أو شكورًا، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وفي الصحيحين من حديث عِتبان قوله ﷺ: « فإنَّ الله قد حَرَّم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله » [متفق عليه: ٤٢٥، ٣٣].

٧- **المحبة:** أي محبةُ هذهِ الكلمةِ العظيمة، وما دلت عليه واقتضته، فيحبُّ اللهَ ورسولهُ ﷺ، ويقدمُ حبَّهما على كل محبة، ويقوم بشروط المحبة ولوازمها: فيحبُ الله محبةً مقرونةً بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، ويحب ما يحبه الله من الأمكنة: كمكة، والمدينة، والمساجد عمومًا، والأزمنةَ كرمضان، وعشر ذي الحجة، وغيرها، والأشخاص كالأنبياء، والرسل، والملائكة، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والأفعال كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأقوال كالذكر، وقراءة القرآن.

ومن المحبة أيضًا: تقديمُ محبوباتِ الله على محبوبات النفس وشهواتها ورغباتها.

ومنها أيضا: أنْ يكرَهَ ما يكرهُهُ اللهُ: فيكرهُ الكفر والفسوق والعصيان. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة:٥٤].

الدرس الثامن

معنى: أن محمدًا رسول اللّه ﷺ:

معناها الاعتراف ظاهرًا وباطنًا بأنه - ﷺ - عبدُ الله ورسوله إلى الناس كافةً ، والعمل بمقتضى ذلك ، من طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

ولشهادة أنَّ محمدًا رسول الله ركنان هما: (**عبده ورسوله**) ، وهما ينفيان الإفراط والتفريط في حقه ﷺ ، فهو عبد الله ورسوله ، وهو أكملُ الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين. ومعنى العبدُ هنا: المملوكُ العابدُ ، أي: أنه بشرٌ ، مخلوقٌ مما خُلق منه البشر ، يجري عليه ما يجري عليهم ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ...﴾ [الكهف: ١١٠] ، وقال سبحانه: ﴿ الحَمْدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١].

ومعنى الرسول أي: المبعوث إلى الناس كافةً بالدعوة إلى الله بشيرًا ونذيرًا ، وفي الشهادة له بهاتين الصفتين: نفي الإفراط والتفريط في حقه ﷺ. حيث إنَّ كثيرًا ممن يدَّعي أنه من أمته قد أفرط في حقه ، وغلا فيه ، حتى رفعه فوق مرتبة العبودية إلى مرتبة العبادة له من دون الله ، فاستغاث به من دون الله ، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله ، من قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وآخرون جحدوا رسالته ، أو فرَّطوا في متابعته وبخسوه - ﷺ - حقه الواجب ، فقدموا أقوال سائر البشر على أقواله ﷺ ، وجَفَوْا سنته وأعرضوا عنها ، واعتمدوا على أقوال مخالفة لما جاء به ﷺ.

الدرس التاسع

الإيمان وأركانه

الإيمان: قول وعمل ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالذنوب والمعاصي ، فهو : قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، فقول القلب: اعتقاده وتصديقه ، وقول اللسان : إقراره ، وعمل القلب: تسليمه ، وإخلاصه ، وإذعانه ، وحبه ، وإرادته للأعمال الصالحة ، وعمل الجوارح : فعل المأمورات ، وترك المنهيات .

وقد دلَّ الكتابُ والسنةُ على أنَّ للإيمان أصولًا هي: الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، كما في قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكما جاء في صحيح مسلم من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ سأل النبي ـ ﷺ ـ عن الإيمان ، فقال له : ((الإيمان أن تؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) [مسلم:٨].

فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز ، وبُعث بها رسوله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتُسَمَّى أركان الإيمان.

الدرس العاشر

أولاً: الإيمان بالله: وهو الإيمان بوحدانية الله في ألوهيته ، وربوبيته ، وأسمائه وصفاته ، ومن الإيمانِ بالله سبحانه وتعالى :

١- الإيمان بأنه الإله الحقُ المستحقُ للعبادةِ وحده دون سواه ؛ لكونه خالقَ العباد، والمحسنَ إليهم ، والقائم بأرزاقهم ، والعالِم بسرهم وعلانيتهم ، والقادرَ على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم. وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم ، كقوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لله الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢-٣] ، وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الاسراء:٢٣] ، وقوله عز وجل: ﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر:١٤].

٢- ومن الإيمانِ بالله ، الإيمانُ بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم من أركان الإسلام الخمسة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا ، وغير ذلك من الفرائض التي جاء الإسلام.

٣- ومن الإيمان بالله ، الإيمان بأنه خالق العالم ومدبر شؤونهم ، والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء ، وأنه مالكُ الدنيا والآخرة ، ورب العالمين جميعًا ، لا خالق غيره ، ولا ربَّ سواه، وأنه أرسلَ الرسل ، وأنزلَ الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل ، وأنه لا شريك له في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢].

٤- ومن الإيمان بالله ، الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في كتابه العزيز ، والثابتة عن رسوله الأمين ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة ؛ لأنها أوصاف الله ـ عز وجل ـ التي يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته ، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

الدرس الحادي عشر

الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة:
ويتضمن: الإيمانَ بهم إجمالًا وتفصيلًا . فأما على الإجمال ، فنؤمن بأن لله ملائكةً خلقهم وجبلهم على طاعته ، وهم أصناف كثيرةٌ ، منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد. وأما على سبيل التفصيل، فنؤمن بمن سمى الله ورسوله ـ ﷺ ـ منهم كجبريل ، وميكائيل ، ومالك خازن النار ، وإسرافيل الموكل بالنفخ بالصور .
والملائكة خلقهم الله من نور ، كما ثبت عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قال: ((خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وُصِفَ لكم)) [رواه مسلم: ٢٩٩٦].

ثالثًا: الإيمان بالكتب: يجب الإيمان إجمالًا بأن الله ـ سبحانه ـ قد أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله لبيان حقه على عباده ، والدعوة إلى ذلك ، ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن. والقرآن هو خاتمها ، وهو المهيمن عليها والمصدقُ لها ، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه ، مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ ، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعث محمدًا ـ ﷺ ـ رسولًا إلى جميع الثقلين ، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم ، وجعله شفاءً لما في الصدور وتبيانًا لكل شيء ، وهدىً ورحمةً للعالمين ، كما قال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٥] ، وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩].

رابعًا: الإيمان بالرسل: فيجب الإيمان بالرسل إجمالًا وتفصيلًا ، فنؤمن بأنَّ الله ـ سبحانه ـ أرسل إلى عباده رسلًا مبشرينَ ومنذرينَ ودعاةً إلى الحق ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴾ [النحل:٣٦] ، فمن أجابهم فاز بالسعادة والسلامة، ومن خالفهم باءَ بالخيبةِ والندامة.

ونؤمن أنَّ دعوة الرسل واحدة ، وهي الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ، وإنما اختلفوا في الشرائع والأحكام ، ونؤمن أن الله فضَّل بعضهم على بعض ، وأنَّ
أفضلهم وخاتمهم هو نبينا محمد ﷺ ، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الاسراء:٥٥] ، وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ومن سمى الله منهم ، أو ثَبت عن رسول الله ـ ﷺ ـ تَسميتُه ؛ آمنا به تفصيلًا وتعيينًا ، كنوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، وغيرهم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

الدرس الثاني عشر

تابع أركان الإيمان

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:

ويدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر به الله ورسوله ـ ﷺ ـ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد، والصراط، والميزان، والحساب والجزاء، ونشر الصحف وتطايرها بين الناس، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، ويدخل في ذلك أيضا: الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ، وأنَّ لكل نبي حوضًا كما جاء في السنة، ويدخل فيه أيضًا: الإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم ـ سبحانه ـ وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بَيَّنَهُ الله ورسوله ﷺ.

سادسًا: الإيمان بالقضاء والقدر:

ويتضمن الإيمانَ بأمورٍ أربعة:

أولاً: أنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ قد عَلِمَ ما كانَ وما يكونُ، وعَلِمَ أحوال عباده، وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم لا يخفى عليه من ذلك شيءٌ سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٥].

ثانيًا: كتابتُهُ ـ سبحانه ـ لكل ما قدَّرَهُ وقَضاهُ، كما قال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس:١٢].

ثالثًا: الإيمانُ بمشيئته النافذة السابقة، فما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [آل عمران:٤٠].

رابعًا: خلقه ـ سبحانه ـ لهذا المقدور قبل أن يقع، كما قال سبحانه: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

الدرس الثالث عشر

الشرك وأنواعه

الشرك هو: أن يَجْعَلَ العبدُ لله ندًّا في ربوبيته ، أو ألوهيته ، أو أسمائه وصفاته .

والشرك نوعان : شرك أكبر ، وشرك أصغر.

أولاً : الشرك الأكبر : وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ، وصاحبه مخلد في النار إن ماتَ ولم يتب منه ، كما أنه مُحبط للأعمال ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] ، والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة النصوح، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

ومن أنواع الشرك الأكبر: دعاء غير الله ، أو النذر لغير الله ، أو الذبح لغير الله وغيرها. أو أنْ يتَّخِذَ من دون الله أندادًا يحبهم كحب الله ، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] .

ثانيًا: الشرك الأصغر : وهو ما ثبت من نصوص الكتاب أو السنة تسميته شركًا ولكنه لم يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر ، وهذا النوع لا يُخرج من الملة ، لكنه يُنقص من التوحيد ، كيسير الرياء ، أو ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر ولم يصل إليه ، كالصلاة لله عند القبور ، والحلف بغير الله دون اعتقاد أن المحلوف به ينفع ويضر من دون الله ، وقول: ما شاء الله وشاء فلان ، ونحو ذلك ؛ لقول النبي ﷺ: ((أخوفُ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر)) ، فسُئل عنه ، فقال: ((**الرياء**)) [رواه أحمد وإسناده جيد] ، وقوله ﷺ : ((منْ حَلفَ بغير الله فقد أشرك)) [رواه أبو داود: ٢٨٢٩] .

ومن الأعمال الداخلة في هذا النوع من الشرك أيضًا: تعليق التمائم والحروز ، ولبس الحلقة والخيط لدفع الأمراض والمصائب أو اتقائها ، لكن لو اعتقد أنها تنفع أو تضر بذاتها ، وأنها ليست سببًا فقط ؛ فإن هذا يدخل في الشرك الأكبر.